المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 31-01-2007 العـــدد : 15988
الصفحـات : 21 المسلسل : 126

نداء المليك العاجل للقادة الفلسطينيين.. التزام بالضمير وإيمان بشراكة المصير

قراءة - إبراهيم عباس

يكتسب النداء العاجل الذي وجهه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى فرقاء النزاع الفلسطيني الأحد الماضي أهميته الخاصة لجهة توقيت صدوره في الوقت الذي وصلت فيه حدة الاقتتال بين فتح وحماس إلى درجة غير مسبوقة ، وأيضا بعد أن بدأت تعلو بعض الأصوات المشككة بالدور السعودي حيال القضية الفلسطينية - مدعية انحسار هذا الدور خلال العام المنصرم ، وهو ما تدحضه الأدلة والبراهين التي توّجت بهذا النداء التاريخي الذي يعتبر وثيقة تاريخية تترجم الدعم السعودي للقضية الفلسطينية في عهد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - قولاً وعملاً . ويكفي لتأكيد الدور السعودي المتواصل والمتنامي في دعم هذه القضية من العودة إلى أبرز محطات هذا الدعم الذي قدمته حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - على مدى ذلك العام ، والذي يشكل في ذات الوقت موقف المملكة إزاء التطورات الهامة التي شهدتها القضية الفلسطينية والتي جاءت الانتخابات التشريعية وتشكيل حكومة حماس ، وما أعقب ذلك من خلافات ومشاحنات بين فتح وحماس من أبرز تلك التطورات.

● في جولة خادم الحرمين الشريفين التي شملت أربع دول آسيوية في الشتاء الماضي (الصين والهند وماليزيا والباكستان) احتلت القضية الفلسطينية موقعًا متقدمًا في مباحثاته مع قادة وزعماء هذه الدول الصديقة . ونص البيان المشترك الصادر في ختام زيارته لباكستان في ٢٠٠٦/٢/٣ على تقدير الطرفين لأهمية الانتخابات الفلسطينية التي أجريت في ٢٠٠٦/١/٢٥ استجابة لمطالب من أطراف دولية هامة ، والمطالبة بقبول نتائج تلك الانتخابات والتعامل معها بشكل موضوعي وحكيم ، وتجنب الأحكام المسبقة والمواقف المتعجلة . كما نص البيان على أن تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط يعتمد على إيجاد حل عاجل للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي .

● وقد حرص خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على التأكيد على ثبات موقف المملكة الداعم للقضية الفلسطينية في خطبه وكلماته إلى الوزراء وأعضاء مجلس الشورى طيلة العام ، ومثال ذلك ما جاء في كلمته - حفظه الله - في افتتاح أعمال السنة الثانية من الدورة الرابعة لمجلس الشورى في ٢٠٠٦/٤/١ : "إننا نرتبط بأشقائنا العرب بروابط اللسان والتاريخ والمصير، وسوف نحرص دومًا على تبني قضاياهم العادلة، مدافعين عن حقوقهم المشروعة خاصة حقوق أشقائنا الفلسطينيين، آملين أن يتمكن العرب بالعزيمة الصادقة من الخروج من ليل الفرقة إلى صبح الوفاق . فلا عزة في هذا العصر بلا قوة ولا قوة بلا وحدة".

● تأكيد خادم الحرمين الشريفين في افتتاحه القمة السابعة والعشرين لدول مجلس التعاون الخليجي في ٢٠٠٦/١٢/٩ على مركزية القضية الفلسطينية بالنسبة للمملكة بقوله : (قضيتنا الأساسية تبقى قضية فلسطين الغالية التي لا تزال تقبع بين احتلال عدواني بغيض ومجتمع دولي ينظر نظرة التفرج).

● وفي زيارته للباكستان تطرق سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى الهم الفلسطيني في كلمته أثناء حفل الغداء الذي أقامه رئيس الوزراء الباكستاني شوكت عزيز في ٢٠٠٦/٤/١٦ تكريمًا لسموه بقوله : "ما يعيشه الشعب الفلسطيني من ظلم يستوجب تضافر الجهود لإنهاء الاحتلال وتحقيق آمال الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف".

المصـــــدر :	المدينة المنورة		
التـــاريخ :	31-01-2007	العـــدد :	15988
الصفحـات :	21	المسلسل :	126

● وقد حرص سمو ولي العهد على إعادة تأكيد الموقف السعودي من فوز حماس بالانتخابات في المقابلة التي أجراها معه التلفاز الوطني الياباني NHK في ٢٠٠٦/٤/١٣ بقوله: "إن سياسة المملكة منذ عهد الملك عبد العزيز – رحمه الله – إلى يومنا هذا لم تختلف ، وهي سياسة تؤكد على دعم الشعب الفلسطيني في قضيته لاستعادة وطنه وترابه ومشرديه في العالم ، وأن تكون فلسطين دولة قائمة بذاتها".مضيفًا : "أما فيما يتعلق بحركة حماس وفوزها بالانتخابات ، فنحن نعتقد أن حماس أو غيرها هي من الشعب الفلسطيني ، كما إننا لا نميز بين حماس أو غير حماس ، فكلهم إخواننا وأصدقاؤنا" .

● وفي رده على أسئلة الصحفيين مساء الثلاثاء ١٨ رمضان ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٠٠٦/١٠/١٠م تطرق سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى الجهود السعودية لرأب الصدع بين الفصائل الفلسطينية بقوله إن بلاده قدمت مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للأمة العربية، وأقر في مؤتمر قمة بيروت العربية بالإجماع، وأقرته دول العالم كلها، ما عدا اسرائيل، «وما زال الى الآن المشروع الوحيد الذي يمكن أن يقضي على كل المشاكل بين إخواننا الفلسطينيين وإسرائيل». ودعا الله أن يجمع شمل الفلسطينيين ويزيل كل المشاكل بينهم «حتى يكونوا على مستوى المسؤولية».

● وردًا على العدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة في يوليو ٢٠٠٦ واستخدام أمريكا لحق الفيتو للحيلولة دون إقرار مشروع القرار العربي لإدانة إسرائيل على هذا العدوان واستخدامها القوة المفرطة ضد المدنيين العزل ، أصدر مجلس الشورى السعودي الأحد ٢٠٠٦/٧/٢ الموافق ١٤٢٧/٦/٦هـ بيان إدانة لتصعيد حكومة إسرائيل للأعمال الإجرامية والاعتداءات تجاه حكومة فلسطين وشعبها ، وقد تضمن البيان دعوة البرلمانات المختلفة والاتحادات البرلمانية الإقليمية والدولية إلى الوقوف بجانب الحق والتصدي للظلم الذي يواجهه شعب فلسطين الأعزل والذي تمارسه إسرائيل ،على مر العقود الماضية ضد الشعب الفلسطيني الشقيق» .

● وفي الكلمة التي ألقاها لدى زيارته لمدرسة تاور هيل بمدينة ويلمنتجتون يوم الأربعاء ١٤٢٧/٩/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٦/١٠/١٨ م ضمن المشاركة في اللقاء الذي جرى تنظيمه حول قضايا الشرق الأوسط أكد سفير خادم الحرمين الشريفين في واشنطن سمو الأمير تركي الفيصل على أن النزاع الفلسطيني الإسرائيلي يمثل جوهر قضية الشرق الأوسط . وقال إنه بدون إيجاد حل لذلك النزاع فإن التوصل إلى سلام دائم في الشرق الأوسط لن يكون ممكنًا . وأدان سموه الظلم الذي يتعرض له الفلسطينيون نتيجة لحرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية والوطنية .

ولم يقتصر الدعم السعودي للقضية الفلسطينية خلال ذلك العام على الدعم السياسي والدبلوماسي والمعنوي ، وإنما شمل العديد من أوجه الدعم العالي والإنساني ، وهو ما تمثل في بعض صوره في شهر رمضان الماضي بتوجيه سمو وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز المشرف العام على اللجنة السعودية لإغاثة الشعب الفلسطيني بالبدء في دعم برنامج السيطرة على الأوبئة في فلسطين ، وذلك بتأمين اللقاحات والتطعيمات اللازمة لمكافحة التكاف والحصبة الألمانية ، كما وجه سموه بتوفير ٩٠ ألف حقيبة مدرسية للطلبة والطلاب ، وذلك من خلال منظمة اليونيسيف . كما انطلقت قبل ذلك بأسبوع قافلة المساعدات السعودية إلى الأراضي الفلسطينية عبر مصر مشتملة على ٢١٥٠ طنًا من دقيق القمح المدعم بالفيتامينات لمساعدة نحو ٥٠ ألفًا من الأسر الفقيرة في القطاع . كما قدمت المملكة في غضون ذلك منحة بقيمة ٢٫٦ مليون دولار في إطار مساعدات الإغاثة التي تقدمها للشعب الفلسطيني .

معانٍ كثيرة

يعتبر نداء خادم الحرمين الشريفين – استنادًا إلى ما سبق – امتدادًا لتلك المواقف وترسيخًا لها إلى جانب ما انطوى عليه من معانٍ ودلالات هامة يأتي في مقدمتها إعادة التأكيد على أن القضية الفلسطينية هي

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 31-01-2007 العـــدد : 15988
الصفحـات : 21 المسلسل : 126

القضية المركزية بالنسبة للمملكة انطلاقًا من موقع تلك القضية في فكر ووجدان وضمير السعوديين ملكًا وحكومةً وشعبًا لما ترمز إليه فلسطين للسعوديين من رموز العروبة والتاريخ، وأيضًا باعتبارها أرض الإسراء وأولى القبلتين التي يحتضن ثراها الطاهر الأقصى المبارك ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال .

كم كان ذلك البيان صريحًا عندما وضع المزايدون على قضايا الأمة من تجار الشعارات ومروجو الفتن وأدعياء النضال في مكانتهم الحقيقية التي يستحقونها عندما أسقط أقنعتهم وكشف عن دورهم اللاأخلاقي المعيب.

وكم كان ذلك النداء عاجلاً عندما أيقظ الضمائر النائمة، وأعاد الأمة إلى وعيها عندما وضع النقاط على حروف الأزمة تشخيصًا وتمحيصًا ومعالجة .

وكم كان ذلك النداء مخجلاً لأولئك الذين ارتكبوا هذا الجرم العظيم بكل أسبابه الواهنة وغير المبررة عندما سفكوا دماء الأبرياء، وأزهقوا أرواح المعصومين، ولطخوا تاريخ الكفاح الوطني المشرف للآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني الذين استشهدوا في سبيل الله لتحرير وطنهم من براثن الاحتلال.

وكم كان ذلك النداء مؤثرًا وصادقًا وحاسمًا عندما وصف – حفظه الله – المشهد الفلسطيني الراهن بأنه يدمي القلوب معربًا عن مدى الحزن والألم العميقين الذي تشعر به المملكة لما يدور على الساحة الفلسطينية من اقتتال بين الأشقاء أصحاب القضية الواحدة دون أن تتصدى لدورها الإسلامي والعروبي والأخلاقي تجاه أمانة الكلمة والفعل مؤكدًا على أن المملكة العربية السعودية حكومة وشعبا لا تقبل أن تقف صامتة وتكتفي بدور المتفرج على ما يحدث .

وكم كان ذلك النداء ناصحًا أمينًا عندما أشار إلى ما يحدث في أرض فلسطين الشقيقة بأنه لا يخدم غير أعداء الأمة الإسلامية والعربية ويضع ألف علامة استفهام أمام المجتمع الدولي الذي ينظر باحترام لعدالة قضيتنا وتساؤله – حفظه الله – «بماذا سنجيب من وقف معنا ومع قضيتنا إذا ما تساءل عما يحدث من قتل واستنزاف لا أخلاقي لطاقات شعبنا الفلسطيني» وأي جواب سنقدمه لهم غير الحيرة والألم والتبريرات الواهية ؟!

وكم كان ذلك النداء مؤمنًا وكريمًا وهو يدعو أولئك الفرقاء من القادة الفلسطينيين إلى لقاء عاجل في وطنهم الشقيق المملكة العربية السعودية، وفي رحاب بيت الله الحرام، لبحث أمور الخلاف بينهم بكل حيادية محذرًا من مغبة قتل المسلم لأخيه المسلم الذي قال عنه الباري جل جلاله: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا)، وقال عنه الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» ، وقال عنه أيضا : "من حمل علينا السلاح فليس منا".

وقد جاءت دعوته – يحفظه الله – للقادة الفلسطينيين لإرساء دعائم حوار جاد يرضى الله سبحانه وتعالى ويحقق آمال وتطلعات الشعب الفلسطيني الشقيق والشعوب الإسلامية والعربية وكل من آزر القضية ودعمها من هذا المنطلق العقدي والعقلاني والأخوي انصياعًا لقول الحق تبارك وتعالى :(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ، وقوله جل جلاله: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)، وإيمانًا من المملكة العربية السعودية حكومة وشعبًا بأن دورها تجاه القضية الفلسطينية ليس دورًا هامشيًا يكتفي بالصمت ، بل هو دور تاريخي وشراكة في المصير منذ تأسيس الدولة السعودية وموقف موحدها الملك عبدالعزيز - يرحمه الله-